﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات: 50 - 51]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلهما:

مآلُ الوُقوف على صـوَرِ الـضَّـلال وعواقبِهِ الرُّجوعُ إلى الحقِّ

بعد أن بيَّن الله تعالى ضلالَ كفّارِ قريش في تكذيبِهم بالبعث بيانًا بالبرهان السّاطع، ومثَّل حالَهم بحال الأمم الَّذين سَبقوهُم في التَّكذيب بالرُّسُل، وما جاؤوا به؛ جمعًا بين الموعظة للضّالين وتسليةِ الرَّسول ﷺ والمؤمنين؛ لمّا بيَّن ذلك أعقَبَه بأن يدعوهم إلى الرُّجوع إلى الحقِّ بقوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾[1].

افتقارُ الخلقِ إلى الله ﷻ يوجِبُ الفرارَ إليه

ثُمَّ إنَّه لمّا ثبت أنَّ وراء العبادِ عذابًا يَحِقُّ لهم الفرارُ منه، وثبت أنَّ كلَّ شيء غيره سبحانه محتاجٌ إلى زوجِه، ممّا يُثْبِت حاجة الجميعِ إليه ﷻ؛ وجب ألّا يُفْزَع إلّا إلى الواحد الغنيِّ، فسبَّبَ عن ذلك قوله: ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾: أصل (فرّ) يدلُّ على الانكشاف[3]، والفرار: الهروب، أي: سُرعةُ مُفارَقَةِ المَكانِ تَجَنُّبًا لأذًى يَلحقُه فيه[4]، وفرَّ إلَيه: لَجأ، وهو المقصود به في الآية، أي: فالجَؤوا إليه، وسارعوا إلى طاعَتِه[5].

2) ﴿نَذِيرٞ﴾: أصلُ (نذر) كلمةٌ تدُلُّ على تَخْويفٍ أو تَخَوُّفٍ، منه الإنذارُ، وهو الإبلاغُ، ولا يكادُ يكونُ إلّا في التَّخويفِ، وتَناذَروا:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 19.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 476.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فر).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 19.
(5) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 9/ 1105.

خَوَّفَ بعضُهُم بعضًا، ومنه النَّذْرُ، وهو أنَّه يَخافُ؛ إذا أخْلَفَ، والنَّذيرُ: المُنْذِرُ، والجَمعُ: النُّذُرُ، والنَّذْرُ أيضًا: ما يَجِبُ، كأنَّه نُذِرَ، أي: أوجِبُ[1]، والمراد بالنَّذيرِ في الآية: المُحَذِّرُ مِن شَيءٍ يَضُرُّ، أي: "محذِّر من الهلاك الأبديِّ بالعقوبة الَّتي لا خلاص منها؛ إن فَعَلْتُم ذلك"[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الفرارُ ممّا سوى الله تعالى إليه فـرارٌ مـمّـا فيه التَّعاسة إلى ما فيه السَّعادة

إذا عَلِمتُم - أيُّها المشركون - ما سبق ذِكرُه في السّياق الكريم مِن قصص إهلاك المُجرمين ونجاة المؤمنين، فَعَجِّلوا بالفرار ممّا فيه هلاكُكم وتعاسَتُكم إلى ما فيه نجاتُكم وسعادتكم، واهربوا من خطَر الكفر إلى واحة الإيمان، ومن الشِّرك باللّه تعالى إلى توحيدِ اللّه تعالى، واعلموا أنّي - والكلامُ للرَّسول ﷺ - مُخَوِّفٌ لكم من الخطَر قبل قدومكم عليه، أُخَوِّفكم، وأُنْذِرُكم نذارةً بَيّنةَ الحُجَج والأدلَّة، وبالمعجزات على صِدْقِ دَعْوَتي وصحَّة رسالتي.

وتَوَجَّهوا بالكلّيَّة - أيُّها الكافرون - إلى اللّه تعالى وحدَهُ، وأخلِصوا عقيدتَكُم وعبادتكم له سبحانه، ولا تُشْرِكوا في شيءٍ منهما أحدًا غيرَه، واثقين بأنَّني مأمورٌ بدَعْوَتِكم إليه تعالى منه ﷻ؛ لأُنْذِرَكُم، وأحذِّركم إنذارًا بيِّنًا وتحذيرًا واضحًا؛ لتَنْجوا مِن عِقابه، وتَسْعَدوا برِضوانه وجِنانِه.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ تفريعيَّةٌ فصيحَةٌ؛ إذ في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ [الذاريات:

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نذر).
(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 478.

20 - 21]، وفي قوله: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ تعريضٌ بالمكذِّبين الخرّاصين، فكان في قصص الأنبياء وإهلاك المعاندين تخويفٌ شديد، وفي قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ تذكيرٌ بِشدَّة سطوته وكمال قدرته.

شِدَّةُ قَهرِ الله ﷻ وكمال سَطوَته، وصنيعُه بالأمم المكذِّبة، يوجِبُ الفرارَ إليه سبحانهُ

فإذا ظهر لكُم شِدَّةُ قهره سبحانه وكمالُ سطوته، وما فعَل بالأمم المكذِّبة، وعرفتُم كُلَّ ذلك، ففرّوا إلى الله تعالى مِن الله تعالى، واترُكوا العنادَ، وخافوا سوءَ مغبَّة تَكْذيبِكُم، يدلُّ على ذلك قولهُ تعالى: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾[1]، فالفاء الفصيحَةُ قَد طوت كلَّ هذا، فهي لذلكَ عُنْصُر إيجازٍ بليغٍ.

آثارُ غضَبِ الله تعالى موجبةٌ الفرارَ منها، ورحمتُه مستدعيةٌ الفرار إليها

و(الفاء) إمّا لِترتيب الأمر على ما حُكي من آثارِ غضَبِه الموجبةِ للفرار منها، ومن أحكام رحمته المستدعية الفرارَ إليها، وإمّا للعطف على جملة مقدَّرة مترتِّبة على قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾، كأنَّه قيل: قُل لهم فتَذَكَّروا، فَفِرّوا إلى الله[2].

دلالةُ العدولِ عن موعظة الله تعالى إلى موعظَةِ رَسولِهِ ﷺ:

لِتَعدُّد الواعظين تأثيرٌ على نفوسِ المخاطَبين بالموعظة

عدل الأسلوبُ الكريم في جملة: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ عمّا سبق من توجيه الموعظة مِن الله تعالى مباشرةً، إلى أمر الرَّسول ﷺ بخطابهم؛ إذ "قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا﴾، ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا﴾، ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا﴾، ثُمَّ جعل الكلام للنَّبيِّ ﷺ، فقال: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾، ولم يقل: فَفِرّوا إلينا؛ وذلك لأنَّ لاختلاف الكلام تأثيرًا، وكذلك لاختلافِ المتكلِّمين تأثيرًا؛ ولهذا يُكثِر الإنسانُ مِنَ النَّصائح مع ولَدِه الَّذي حادَ عنِ الجادَّة، ويجعل الكلام مختلفًا، نوعًا ترغيبًا، ونوعًا ترهيبًا، وتنبيهًا بالحكاية، ثُمَّ يقول لغيره: تكلَّم معه؛ لعلَّ كلامَكَ ينفَعُ.

(1) الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 15/ 35.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 8/ 143.

وذلك لِما في أذهان النّاس من أنَّ اختلاف المتكلِّمين واختلافَ الكلام كلاهما مؤثِّرٌ، واللّه تعالى ذَكَر أنواعًا من الكلام، وكثيرًا من الاستدلالات والآيات، وذكر طَرَفًا صالحًا من الحكايات، ثُمَّ ذكر كلامًا مِن متكلِّمٍ آخرَ هو النَّبيُّ ﷺ"[1].

دلالةُ التَّعبير بأمر الفرارِ مضعَّفًا:

الفرارُ: الهروبُ مِن محذورٍ إلى مَكْمَن أمانٍ يَلجأ إليه الفارُّ، و"سَمَّى اللّه الرَّجوع إليه: فِرارًا؛ لأنَّ في الرُّجوع لِغيره أنواعَ المخاوف والمكاره، وفي الرُّجوع إليه أنواعَ المَحابِّ والأمن والسُّرور والسَّعادة والفوز، فيفِرُّ العبد من قضائه وقدره، إلى قضائه وقدره، وكلُّ مَن خِفْتَ منه، فَرَرْتَ منه إلى اللّه تعالى؛ فإنَّه بحسب الخوفِ منهُ يكون الفرارُ إليه"[2].

الـهـروبُ مِـنَ المخاوفِ إلى الله تَعالى

ومن معانيه: "فِرّوا إليه في جميع حوائجكم، ولا تَطْلُبوا شيئًا من ذلك من غيره، فإنَّه هو القادِرُ عليها حقيقةً، فيكون في الآية ترغيبٌ في الرُّجوع إليه في الحوائج، وقطع الطَّمع عن غيره"[3].

والأمر بالفرار "يُنْبِئُ عن سُرعة الإهلاك، كأنَّه يقول: الإهلاك والعذابُ أسرعُ وأقربُ مِن أن يَحتمل الحالُ الإبطاءَ في الرُّجوع، فافزعوا إلى اللّه تعالى سريعًا، وفرّوا"[4].

والتَّضعيف في الفعل (فِرّوا) يحكي الهِمَّة المطلوبة في عزيمة العبدِ المُقبل على اللّه تعالى، الفارِّ برغباته من الدُّنيا وما فيها إليه ﷻ، فينبغي أن تكون همَّة الفارِّ إلى اللّه تعالى قويَّة صادقة لا ضعيفةً مضطربةً.

نكتةُ حذفِ متعلَّق الفرار في قوله: ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾:

سكت النَّظم عن ذِكْرِ سبَبِ الفرار والحادي عليه في جملة:

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 189.
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 812.
(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 9/ 391.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 189.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾، وإن كان السّياق يوضِّحه؛ إذ التَّقدير "ففِرّوا من الكفر والعصيان إلى الطّاعة والإيمان"[1]، وذلك لأحدِ وجهين: إمّا لكونه معلومًا، وهو هول العذاب، أو الشَّيطان الَّذي قال تعالى فيه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ [فاطر: 6]، وإمّا ليكون عامًّا، كأنَّه يقول: كلُّ ما عدا الله تعالى، وما يتعلَّق به عدوُّكم، ففرّوا إليه ﷻ من كلِّ ما عداه.

كلُّ ما عداه سبحانه يُتلِف عمرك، والله تعالى يرفع أمرك، ويعطيك بقاءً لا فناء معه

وبيانهُ: أنَّ كلَّ ما عداه، فإنَّه يُتلِفُ عليك رأسَ مالك الَّذي هو العُمُر، ويُفَوِّت عليك ما هو الحقُّ والخير، ومُتلِفُ رأسِ المال مُفَوِّتُ الكمالِ: عدوٌّ، وأمّا إذا فَرَرْتَ إلى الله، وأقبلتَ عليه، فهو يأخُذ عمُرَك، ولكنْ يَرْفَعُ أمرَك، ويُعْطيك بقاءً لا فناءَ معه"[2].

بيانُ مرجِع ضمير الجماعةِ في قوله: ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾:

المخاطَبُ بضمير الجماعة في جملة: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ "المشركون؛ لأنَّ المؤمنين قد فرّوا إلى الله تعالى مِن الشِّرك"[3]، ولا يمنع أن يُخاطَبَ العمومُ، فالمشركونَ مأمورون بالفرار من الشِّرْك، والمؤمنونَ مأمورون بالفرار من الجهل إلى العلم، ومِنَ المعصيةِ إلى الطّاعةِ، ومِنَ الغفلَةِ إلى ذِكْرِ الله تعالى، على أنَّه لا يلزَمُ من القول بفرارِهم ممّا تقدَّم أن يكونوا متلبِّسين بتلك الأوصافِ.

الفِرارُ مِنَ النَّقائِصِ إلى الأوصافِ الكاملةِ

معنى ﴿إِلَى﴾ في قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِۖ﴾:

﴿إِلَى﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ لانتهاء الغايَةِ، ففي تقييدِ الفِرار بكَوْنِه ﴿إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ بيانُ المهروبِ إليه[4]، وكلُّ ما سواه ﷻ حقيقٌ بالفرار منهُ، وأنَّ الله تعالى هو وحده ملجأُ الأمنِ والأمان، فكلُّ مَن ركَنَ إلى غيرِه، ولَم يَهْرَعْ إليه على خطَرٍ كبيرٍ.

الله تعالى وحده ملجأ الأمان، فمَن ركَنَ إلى غيره عَلى خطَرٍ كبيرٍ

(1) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 180.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 189، بتصرف.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 19.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 189.

دلالةُ التَّعبيرِ بالاسم الأحسَنِ في قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾:

العبادةُ لا تكون خالصة إلّا إن عُلِّقَت بالذّات الإلهيَّة لا لِشيءٍ آخرَ

قال البقاعيُّ: "لما درَّب عبادَه في هذه السّورة بِصفة الرُّبوبيَّة كثيرًا؛ فتأهَّلوا إلى النُّفوذ في الغيب، وكانت العبادةُ لا تكون خالصة إلّا إن عُلِّقَت بالذّات لا لِشيء آخرَ؛ ذَكَر اسمَ الذّات، فقال: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾، أي: إلى الَّذي لا مُسمّى لهُ مِن مكافِئٍ، وله الكمالُ كلُّه، فهو في غايةِ العُلوِّ.

فلا يَقرُّ، ويَسْكُن أحدٌ إلى مُحتاجٍ مثله، فإنَّ المحتاج لا غِنًى عنده، ولا يقرُّ سبحانه إلّا مَن تجرَّد عن حضيض عوائقه الجِسميَّة إلى أوْجِ صفاته الرّوحانيَّة، وذلك مِن وعيده إلى وعدِهِ اللَّذَينِ دلَّ عليهما بالزَّوجين، فتنقَّل السّياقُ بالتَّحذيرِ والاستعطافِ والاستدعاء، فهو من باب «لا ملجأ منك إلّا إليك»، «أعوذ بك منك»"[1].

بلاغةُ الاستعارةِ التَّمثيليَّة في قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾:

نُصحُ الرَّسول ﷺ لقَوْمِه ومُبالَغتُه في إنذارهم

المرادُ من الأمر بالفرار من العقاب في قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: الأمرُ بالإيمانِ والطّاعة؛ لأنَّه لأمنِه مِن العقاب بالطّاعة، كأنَّه فرَّ لِمَأْمَنِه، فهو استعارةٌ تمثيليَّة[2]، وهو "مستعارٌ للإقلاعِ عمّا هُم فيه من الإشراك وجُحود البَعث، استعارةً تمثيليَّةً بِتشبيه حال تورُّطهم في الضَّلالة بِحال مَن هو في مكانٍ مخوفٍ يدعو حالُه أن يَفِرَّ منه إلى مَن يُجيره، وتَشبيه حال الرَّسول ﷺ بِحال نذيرِ قوم بأنَّ ديارَهُم عُرضَةٌ لِغَزْو العدوِّ، فاستُعمِل المركَّبُ، وهو ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ في هذا التَّمثيل"[3].

علَّةُ فصلِ قوله: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾:

واجبٌ على الدّاعية أن يأمرَ مَدْعوّيه إلى الفرارِ إلى الله تعالى

فُصِلَ قول الله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ عن قوله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّ الثّاني منهما نُظِمَ عِلَّةً للأوَّل، "فإنَّ كونه ﷺ

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 476.
(2) الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 98.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 19.

منذرًا منه تعالى موجِبٌ عليه ﷺ أن يأمُرَهم بالفرار إليه تعالى، وعليهم أن يَمتَثِلوا به"[1].

معنى (إنَّ) في قوله: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾:

الأمـر القـويُّ يستلزِمُ دَعْمًا تركيبيًّا قويًّا

(إنَّ) في قوله: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ حرفٌ دالٌّ على التَّوكيد، اقتضاها هنا ما عِنْدَهم من إنكارِ[2] نُبوَّته ﷺ وإنكارِ القرآن الكريم، وإنكار البعثِ والحِساب، كما تقدَّمَ ذلك صراحةً في أوَّل السّورة الكريمة: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦﴾ [الذاريات: 5 - 6].

وتقدُّم الأمر ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بهذه القوَّة اللَّفظيَّة والمعنويَّة يَستَلزِم قوَّة التَّعبير الدّاعم له بعدَه، فجاء التَّوكيد في قولِه: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ وافيًا بهذا الاستحقاقِ.

معنى اللّام في قوله: ﴿لَكُم﴾:

شِدَّةُ نُصحِ النَّبيِّ ﷺ

اللّام في قوله: ﴿لَكُم﴾ حرفٌ دالٌّ على الاختصاص، أي: إنّي لكم خاصَّةً نذيرٌ مبينٌ، وفي هذا إيماءٌ إلى شدَّة نُصح النَّبيِّ ﷺ حتّى كأنَّه لا يُنذِرُ أحدًا إلّا إيّاهُم.

ويَحْتَمِل أن تكونَ اللّام في قوله: ﴿لَكُم﴾ للتَّعْدِيَة، والمعنى: إنّي منه نَذيرُكم، وعلى كلٍّ؛ فلطيفة إيثار اللّام في قوله: ﴿لَكُم﴾ إشاعَةُ ما يفوح منها مِن معاني النَّفع لهم، وأنَّه لهُم لا عليهم.

بيانُ مرجِع ضمير الخِطاب في قوله: ﴿لَكُم﴾:

النِّـذارةُ بالمشركين والكفّارِ أخصُّ

ضمير الخطاب في القيد ﴿لَكُم﴾ يرجع إلى مرجع ضمير الفاعل في جملة ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾، وهم "المشركون؛ لأنَّ المؤمنين قد فرّوا إلى الله تعالى مِن الشِّرك"[3]، والمعنى: "إنّي نذيرٌ لِمن عَبَد دونه ﷻ،

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 8/ 143.
(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 477.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 19.

أو سَمَّى دونه إلَهًا"[1]، ولا مانعَ مِن أن يكونَ الخطاب عامًّا، وتتنوَّعُ درجاتُ الإنذارِ بحسبِ درجاتِ المُنْذَرينَ.

معنى (مِنْ) في القيد ﴿مِّنْهُ﴾:

ثـــراءُ المَـعـاني ودِقَّـتـها بتَنوُّع معاني الحروفِ

(مِنْ) في القيد ﴿مِّنْهُ﴾ مُنَزَّلةٌ منزِلَةَ ابتداء الغايةِ[2]، فـ ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ﴾، "أي: من جهته"[3]، و﴿مِّنْهُ﴾ صفةٌ لـ ﴿نَذِيرٌ﴾، قُدِّمَت على الموصوف، فصارت حالًا، والابتداءُ في (مِن) ابتداءٌ مجازيٌّ، أي: مأمورٌ له بأن أُبَلِّغَكُم[4]، أو المقصود: ﴿مِّنْهُ﴾ "لا من غيره"[5]، أو "مِن عقابه تعالى المُعَدِّ لِمن لَم يَفِرَّ إليه سبحانه، ولم يوحِّدْه"[6]، أو أن تكون (مِنْ) تعليليَّةً، "بأنَّه ﷺ يُنذرهم مِن جهته تعالى لا مِن تِلقاء نفسه، وعَدٌّ كريمٌ بِنَجاتهم مِن المهروب، وفوزهم بالمطلوب"[7]، ويجوز أن تكون للاستعانة بمعنى الباء[8].

نكتة تقديم القيدين ﴿لَكُم﴾ و﴿مِّنْهُ﴾ على الخبر:

بـــنـــو آدمَ مـحَـلُّ عـنـايـةِ الـلـه تـعـالى، فعِضيانُهُم إيّاه جريمَةٌ كُبْرى

في تقديم القيدين ﴿لَكُم﴾ و﴿مِّنْهُ﴾ على الخبر ﴿نَذِيرٌ﴾ تنبيهٌ على عنايَتِه سبحانه بالمرسَل إليهِم أوَّلًا؛ إذ قَدَّم القيد ﴿لَكُم﴾، ثُمَّ تنبيهٌ على خطورة عِصْيان المرسِل ﷻ؛ إذ قدَّم ﴿مِّنْهُ﴾.

قال الرّازيُّ في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾: "في الرِّسالة أمورٌ ثلاثة: المرسِلُ، والرَّسولُ، والمرسَل إليه، وهاهنا ذُكِرَ الكُلُّ، فقوله: ﴿لَكُم﴾ إشارة إلى المرسَل إليهم، وقوله: ﴿مِّنْهُ﴾ إشارةٌ إلى المرسِل، وقوله: ﴿نَذِيرٌ﴾ بيان للرَّسول.

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 9/ 392.
(2) المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص: 308.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 109.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 20.
(5) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 477.
(6) الآلوسي روح المعاني: 14/ 18.
(7) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 8/ 143.
(8) قباوة، المفصّل، ص: 1850.

وقُدِّم المرسَل إليه في الذِّكْر؛ لأنَّ المرسَل إليه أدخلُ في أمر الإرسال؛ لأنَّه عنده يتمُّ الأمر، ثُم المرسِل؛ لأنَّه متعيَّن وهو الباعثُ، وأمّا الرَّسول فباختياره، ولولا المرسِل المتعيَّن؛ لَما تمَّت الرِّسالة، وأمّا الرَّسول؛ فلا يَتعَيَّنُ؛ لأنَّ للمَلِك اختيارَ مَن يشاء من عباده، فقال: ﴿مِّنْهُ﴾، ثُمَّ قال: ﴿نَذِيرٌ﴾؛ تأخيرًا للرَّسول عن المرسِل"[1].

سرُّ التَّعبيرِ بالإنذار مادَّةً وصيغة:

مِـن مُـهِـمَّـة الرَّسول تخويفُ الكفّار مِن إنزال الـلـه تـعـالى الهلاكَ بهم

الإنذارُ في قوله تعالى تكليفًا لرسوله ﷺ ليدعوَ به المشركين: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، يعني: التَّخويف، أي: "أُنذرُكم عقابَه، وأُخوِّفُكم عذابَه الَّذي أحَلَّه بهؤلاء الأمم الَّذين قصَّ عليكم قَصَصَهم، والَّذي هو مُذيقُهم في الآخرةِ"[2]، و"مُحَذِّر من الهلاك الأبديِّ بالعُقوبة الَّتي لا خلاصَ منها؛ إن فَعَلْتُم ذلك"[3]، وجاء به على صيغة (فعيل)؛ للمُبالغَةِ في التَّعبير عن إنذارِه صلواتُ ربّي عليه، وهي أبلغُ من صيغة اسم الفاعل (مُنذر)، ووجهُ المبالغةِ في الإنذارِ: إظهارهُ غايةَ الإظهارِ، فهو لا يُقَصِّر في التَّخويف من سوء عاقبة التَّكذيب، ولا يتهاون في النَّصيحة والإرشاد إلى ما يصلح من شؤون المُرسَل إليهم[4].

وتنكير ﴿نَذِيرٌ﴾؛ لتَعْظيم نذارَته، وتهويلها، وإذكاءِ الرَّهبة في نفوس المُرسَلِ إليهم؛ ليُناسب ما تقدَّم من سَرْدٍ لمَصير الأمم الهالكة من قبلُ.

نكتةُ تقييد الإنذار بالوصف ﴿مُّبِينٌ﴾ اسمَ فاعلٍ:

الإبـانـةُ في الإنـذارِ دلالـةٌ صِـدقِ الرَّسول والرِّسالة

في الوصف ﴿مُّبِينٌ﴾ "إشارة إلى ما به تُعرف الرِّسالة؛ لأنَّ كلَّ حادث له سببٌ وعلامة، فالرَّسول هو الَّذي به تتمُّ الرِّسالة، ولا بُدَّ له

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 189.
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 549.
(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 478.
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 5/ 445.

من علامةٍ يُعرَف به، فقوله: ﴿مُّبِينٌ﴾ إشارة إليها، وهي إمّا البُرْهانُ أو المُعْجِزة"[1] الَّتي "تبيِّنُ للنّاس آياتِ ألوهيَّته ووحدانيَّته، أو ما يقَعُ لهم بهِ النِّذارة والبِشارة"[2].

وهو ﷺ في ذلك كلِّه "لا يقول شيئًا مِن واضح النَّقل إلّا ودليلهُ ظاهِرٌ مِن صريح العقل"[3]، موضِّحًا إنذاره، مبالغةً في الإعذار؛ بإظهار موجِبات العذاب، ووجه الخَلاص منه[4]، فوصْفُ الإنذارِ بالمبينِ دلالةٌ على أنَّ فضيلةَ الإبانةِ في الإنذارِ أخصُّ صفاتهِ دلالةً على صِدقِ الرَّسول والرِّسالة، وذلك مطلوب لِتحقيقِ مُهِمَّته في الدَّعوة إلى الله تعالى.

نكتةُ تقديم جملة ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾ على جملة: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ﴾:

الأمرُ في قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ طلب فِعْلٍ، والنَّهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ﴾ طلب كَفٍّ عن الفعل، و"استمرارٍ على عدم الفعل، فقُدِّم الإيجادُ على العدم"[5]، و"إتيانُ المأموراتِ مقدَّم على ترك المنهيّات، ولهذا التَزَمَ القرآنُ تقديمَ الأمر على النَّهي في كلِّ مقام اجتمعا فيه، فقال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [آل عمران: 110]، وقال سبحانه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [لقمان: 17]"[6].

التزمَ القرآنُ الكريمُ تقديمَ الأمر على النَّهي في كلِّ مقامٍ اجتمعا فيه

معنى (الواو) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا﴾:

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ﴾ عاطفة

إلحاقُ الأمر بالنَّهي عن ضدِّه مبالغة في التَّأكيد

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 189.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 9/ 392. (بتصرّف).
(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 478. (بتصرّف).
(4) القاسمي، محاسن التأويل: 5/ 231، و6/ 86.
(5) مصيلحي، جامع المسائل والقواعد في علم الأصول والمقاصد: 3/ 6.
(6) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14/ 660.

لهذا النَّهي على الأمر في قوله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾؛ وذلك لِما بينهما مِن التَّوسُّط بين الكمالين؛ لاتِّحاد الجملتين في الإنشائيَّة، ولما بينَهما من التَّناسُبِ اللَّفظيِّ والمعنويِّ؛ فأمّا اللَّفْظيُّ فاتِّحادُ المُسْنَدَ إليه فيهما، وهو واو الجماعَة، مرادًا بها المشركونَ أو العمومُ، وأمّا التَّناسُبُ المعنويُّ؛ فلاتِّحاد الطَّلَبَين – طلب الفعل وطلب الكَفِّ – على تحقيق مصالِحِ العبدِ في دنياهُ وأُخراهُ، بتحقيق التَّوحيدِ ومجانبةِ الشِّرْكِ.

و"جُمِع بين الأمر والنَّهي مبالغةً في التَّأكيد بِنفي الضِّدِّ لإثبات ضدِّه، كقوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ۝٧٩﴾ [طه: 79]"[1].

دلالة (لا) في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ﴾:

(لا) في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ﴾ ناهيةٌ، وفيها "تنصيصٌ على أعظم ما يَجِب أن يُفَرَّ منه، وهو الشِّرك"[2]، وهو "نهيٌ موجِبٌ للفرار من سبب العِقاب بعد الأمر بالفرار مِن نفسه، كما يُشْعِرُ به قوله تعالى: ﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ﴾، أي: من الجَعْل المنهيِّ عنه ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، وفيه تأكيد لِما قبله من الأمر بالفرار مِن العقاب إليه تعالى، لكن لا بطريقِ التَّكرير بل بالنَّهي عن سببِه"[3].

أعظم ما يجب أن يُفَرَّ منه الشِّركُ بالله تعالى

دلالةُ التَّعبير بفعل الجَعْلِ مُضارِعًا:

في التَّعبير بمادَّة الجعل هنا إشارة إلى أنَّ هذا المجعول إلهًا مِن قِبَل الكافرين لا يستحقُّ الألوهيَّة، ذلك أنَّ معنى الجَعْلِ هنا التَّصييرُ والتَّحويل، والمعنى: فتعبدوه، فمَن يقبل أن يُصيَّر، ويُجعل؛ لا يكون إلهًا.

مَن يقبلُ التَّصييرَ والتَّحويل لا يستحقُّ أن يكون إلهًا

ويحتمل أنْ يكون معنى الجَعلِ التَّسميةَ، والمعنى: "لا تُسَمّوا مع ألوهيَّة الله تعالى لأحدٍ دون الله تعالى: ألوهيَّةً، ولا تُسَمّوا دون الله:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 20.
(2) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن: 13/ 210.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 8/ 143.

إلهًا، أو يقول: لا تعبدوا دون الله تعالى إلهًا آخر، أي: معبودًا آخر، فإنَّه لا يستحقُّ دون الله أحدٌ للعبادة"[1]، ودلالةُ صوغ الفعلِ المنهيِّ عنه مضارعًا إدامَةُ ذلك النَّهْيِ، بألّا يُجْعَلَ مع الله تعالى إلهٌ آخرُ.

معنى ﴿مَعَ﴾ في القيد ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾:

﴿مَعَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ﴾ ظرفٌ للمُصاحبة[2]، بمعنى الشَّريك، أي: لا تشركوا معه غيره في الألوهيَّة ومتعلَّقاتها من توزيع الأرزاق، وتأجيلِ الآجال وغيرهما، ففي الحديث الشَّريف: «أنا أَغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيهِ مَعي غَيْري؛ تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ»[3].

نكتةُ إظهار الاسم الأحسَنِ في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ﴾:

أُظْهِر الاسمُ الأحسَنُ في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ﴾، ولم يُضْمَر "تعيينًا للمراد؛ لأنَّه لَم يشاركه في التَّسمية به أحد، وتنبيهًا على ما له من صفات الكمالِ، وتعميمًا لوجوهِ المَقاصد"[4].

الاسمُ الأحسن (الله) لَم يُشاركه في التَّسمية به أحدٌ

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿إِلَٰهًا﴾، ولطيفةُ تنكيرِه:

التَّعبير بـ ﴿إِلَٰهًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ﴾ يعني "ولا تجعلوا أيُّها النّاسُ، مع مَعْبودِكم الَّذي خَلَقَكم معبودًا آخرَ سِواه، فإنَّه لا معبودَ تصلحُ له العبادةُ غيرُه"[5]، ولطيفة تنكيرِه تقريرُ ضآلة كلِّ إلهٍ مدَّعًى سواه ﷻ، ونُكران ألوهيَّته الزّائفة وجحودها، فهذا ما يجبُ الفرارُ منهُ.

كلُّ إلهٍ سوى الله تعالى ألوهيَّتُه زائفة، والفرارُ منها واجبٌ

دلالةُ وصف ﴿إِلَٰهًا﴾ بـ ﴿ءَاخَرَۖ﴾:

وُصِفَ ﴿إِلَٰهًا﴾ بـ ﴿ءَاخَرَۖ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 9/ 392.
(2) قباوة، المفصّل، ص: 1850.
(3) رواه مسلم في صحيحه، رقم: (2985).
(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 477.
(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 549.

ءَاخَرَ﴾، يعني: نفيَ جنسِ الألوهيَّة عن غير الله تعالى مِنَ "الأصنام والشَّياطين وكلِّ مدعوٍّ من دون الله"[1]، ولم يَرِدْ في القرآن الكريم وصفُ ما سوى الله تعالى بإلهٍ (ثانٍ)؛ لأنَّ التَّعدُّد منفيٌّ من أصله، وإنَّما هي الوحدانيَّة الخالصَةُ لصاحِبها ومستحقِّها جلَّ في عُلاه.

لم يَرِدْ وصفُ ما سوى الله تعالى بإلهٍ (ثانٍ)؛ لأنَّ التَّعدُّد منفيٌّ من أصله

علَّةُ فصلِ قوله: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

فُصِلَ قول الله تعالى: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، عن قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾؛ لِما بينهما من اتِّصال معنويٍّ وثيق؛ إذْ إنَّ جملة: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ تعليل للنَّهي[2] السّابق في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، فاتِّصالهما ذاتيٌّ، لا يُحْتاجُ معَهُ إلى واصلٍ لفظيٍّ.

بلاغَة تكرارِ قوله: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

كُرِّر قوله: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ في هذه الآية بعد أن خُتِمت بها الآية السّابقة "للتَّوكيد، والإطالةُ في الوعيد أبلَغُ"[3]، وللتَّنبيه "على أنَّه لا تنفع العبادة مع الإشراك؛ إذ حكمُ المشرك حكمُ الجاحدِ المعطِّل.

لا ينجو عند الله تعالى إلّا الجامعُ بين الاعتقادِ والعمَلِ

أو أنَّ المأمور به في الأوَّل الطّاعةُ الموظَّفةُ بعد الإيمان، فتَوَعَّد تاركها بالوعيد المعروف دون الخلود، فيكون وعيدًا مختلفًا لا تَكرارًا، فالآية من باب قوله: ﴿۞وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: 36]، بل دلَّ الأوَّل على الأمرِ بالاعتصام بالتَّوحيد، والثّاني على النَّهي عن الإشراك، كقولنا: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له"[4]، فـ "اتِّصال الأوَّل بالأمر: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾، واتِّصال هذا بالنَّهي: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، والغرض مِن كلِّ ذلك الحثُّ على التَّوحيد، والمبالغةُ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 5/ 182.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 109.
(3) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 379.
(4) الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 15/ 33. (بتصرّف).

في النَّصيحة"[1]، وفي هذا التَّكرار كذلك "بيانُ أنَّه لا يفوز، ولا ينجو عند الله إلّا الجامع بينَهُما[2]، فـ "قد يفِرُّ المرء إلى الله، ومعه إلهٌ أو آلهة أخرى يَحْمِلُها في كيانه، ويحتَفِظُ لها بمَكانِها من قَلْبِه، وقد لا يجعل الإنسانُ مع الله إلهًا آخر، ولكنْ قد يكون ذلك مجرَّد فكرة حبيسَةٍ في عقله، أو نظريَّة فلسفيَّة تُقيم بناءَ منطقِه الفلسفيِّ، ثُمَّ لا يكون لهذه الفكرة أو تلك النَّظريَّة منطلقٌ نزوعيٌّ أو سلوكيٌّ، يَرِدُ به مواردَ الهدى، ويسلك به مسالك الخيرِ"[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفرار والهروب:

الفرارُ يَحتمِل الهروب مِن الشَّيء، واللُّجوء إلى آخر، ولا يُشْتَرط فيه الخوف، والهرَب يستلزم الخوف، يقال: فرَّ منه، أي: ولّى خائفًا، ومنه: هرَبَ دمُه، أي: اشتدَّ خوفُه[4]؛ كنايةً عن الخوف، "والفرار قد يكون بدون الطَّلب، قال الله ﷻ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾، ولم يُرَد به الفرارُ من الطَّلب، وأمّا الهرب؛ فإنَّه لا يكون إلّا عن طلَبٍ"[5]، فالفرار والهروب يجتَمِعان في دلالةِ الانفِلات من مكروهٍ بسَعيٍ نحو النَّجاة، لكنَّ الفرار أبلغُ وأدقُّ، ويدلُّ على قصدٍ في الاتِّجاه، بينما الهروب أعمُّ وأقلُّ ضبطًا في الجهة والمآل، ومن هنا اختير لفظ ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾؛ ليناسب سياقَ الآية بأن يكون الفرارُ إلى الله تعالى عن قَصْدٍ، وبطلبٍ ورغبةٍ من العبدِ.

الفِرارُ هَرَبٌ مِن الشَّيءِ رهبةً أو إليه رغبةً، والهَرَبُ فرارٌ من الشَّيء رهبةً لا غير

(1) الآلوسي روح المعاني: 14/ 18.
(2) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن: 13/ 210.
(3) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14/ 534.
(4) أحمد المختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (هرب).
(5) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 252.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"